المشاكل المالية في طهران ستختبر قُوّة السياسة الأمريكية

بواسطة جاي سولومون (/ar/experts/jay-swlwmwn)

أبريل
متوفر أيضًا باللغات:
English **(/policy-analysis/tehrans-financial-woes-will-test-us-policy-resolve)**

عن المؤلفين

جاي سولومون (/ar/experts/jay-swlwmwn)

جاي سولومون، زميل زائر مميز في "زمالة سيغال" في معهد واشنطن، وكان سابقاً كبير مراسلي الشؤون الخارجية لصحيفة "وول ستريت جورنال".

تحليل موجز

في الوقت الذي تستقبل فيه إدارة ترامب وزير خارجية ومستشار أمن قومي جديدين هذا الربيع يشغل مصير الريال الإيراني حيزاً كبيراً من استراتيجية البيت الأبيض حول كيفية التصدي لطهران. وكان الرئيس ترامب قد هدد بإعادة فرض العقوبات النفطية والمالية ضد طهران إذا لم يعزز الدبلوماسيون الأمريكيون والأوروبيون شروط الاتفاق النووي الإيراني التاريخي لعام 2015 قبل الموعد النهائي [للتوصل إلى اتفاق مكمل لسد الثغرات التي تشوب الاتفاق النووي] في 12 أيار/مايو.

ووفقاً لمسؤولين أمريكيين سابقين وحاليين فإن الانخفاض الحاد في قيمة الريال في الأشهر الأخيرة يمنح الولايات المتحدة وحلفائها نفوذاً كبيراً على إيران إذا قرر الرئيس ترامب سحب دعمه للاتفاق النووي. ويُذكر أن العملة الإيرانية انخفضت إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق مقابل الدولار الأمريكي في آذار/مارس وخسرت أكثر من ثلث قيمتها منذ أن تولى ترامب منصبه العام الماضي. وقد تؤدي العقوبات الدولية الجديدة وغيرها من الخطوات المتخذة لاستهداف الاقتصاد الإيراني إلى انخفاض العملة بصورة أكثر.

وأفاد هؤلاء المسؤولون أيضاً بأنه يتعين على إدارة ترامب تحديد أهدافها بشكل واضح حول شن أي حرب مالية جديدة على إيران وإن كان بعض مساعدي الرئيس يحثونه على البقاء في الاتفاق النووي. واقترح ترامب احتمال أن تسعى الولايات المتحدة إلى استخدام ضغوط مالية متزايدة على طهران لإقناعها بالعودة إلى طاولة المفاوضات بحثاً عن اتفاق أكثر جاذبيةً لواشنطن وهو أمر استبعدته إيران بالفعل. ويرى مسؤولون أمريكيون آخرون أن استهداف شؤون إيران المالية يشكّل أداةً لاستنزاف البلاد من قدرتها على دفع تكاليف عملياتها العسكرية في الخارج لا سيما في سوريا ولبنان واليمن.

وتجدر الإشارة إلى أن ترقية المعارضين الكبيرين لإيران - وهما مستشار الأمن القومي القادم جون بولتون ووزير الخارجية المكلف مايك بومبيو - في الشهر الماضي ستزيد من إمكانية وضع استراتيجية أكثر طموحاً تهدف إلى تغيير النظام. فقد أعرب كل من الرجلين في الماضي عن أهمية استنزاف خزائن النظام لتشجيع التغيير السياسي. وصرّح بولتون أمام تجمّع لإحدى الجماعات الإيرانية المعارضة في الصيف الماضي أنه "يجب ان تتمثل السياسة المعلنة للولايات المتحدة في الإطاحة بنظام الملالي في طهران." وأضاف "لن يتغير سلوك النظام وأهدافه وبالتالي فإن الحل الوحيد هو تغيير النظام نفسه".

استهداف الاقتصاد الإيراني ولكن إلى أي حد

لم تسِر الإدارات الأمريكية المتعاقبة ومسؤولو وزارة الخزانة على خط واحد فيما يتعلق بالهدف النهائي من جهودهم التي استمرت لعقود طويلة حول الضغط على الاقتصاد الإيراني. فقد تحدث أعضاء إدارة جورج بوش الابن عن خنق طهران اقتصادياً الأمر الذي سيؤدي إلى تدافع شديد نحو البنوك الإيرانية لسحب [الودائع المصرفية] والريال وبالتالي زعزعة استقرار النظام. ووصفوا أعمال إيران غير المشروعة ودعمها للإرهاب الدولي بأنها تشكل تهديداً للنظام المالي العالمي. ونتيجةً لذلك قام مسؤولو وزارة الخزانة بجولة عالمية وحذروا المصارف والحكومات الأجنبية من القيام بأي تبادل تجاري مع إيران وإلا فسيواجهون خطر التواطؤ في الأنشطة

الإجرامية الدولية.

وكان لهذه الاستراتيجية الأمريكية تأثيراً مهلكاً على الاقتصاد الإيراني. فخلال الولاية الثانية للرئيس باراك أوباما خسر الريال نحو ثلثي قيمته وتم تخفيض مبيعات طهران من النفط إلى أقل من النصف وانكمش اقتصاد البلاد. لكن الصفقة النووية التي تم التوصل إليها عام 2015 دفعت واشنطن إلى المسار المعاكس تماماً. فقد أكد مسؤولون كبار في إدارة أوباما أن الهدف النهائي للحرب المالية الأمريكية هو الحصول على تنازلات إيرانية في ما يخص برنامجها النووي وليس تغيير النظام. وانحسرت الجهود الرامية إلى تثبيط الاستثمار في إيران على الرغم من استمرار دور الجمهورية الإسلامية في تمويل الإرهاب والمشاركة في الأنشطة الأخرى غير المشروعة. وفي هذا الصدد قال وزير الخارجية السابق جون كيري لقناة "سي أن أن" في تموز/يوليو 2015 إنّ "العقوبات حثت الإيرانيين على المجئ إلى طاولة المفاوضات." وأضاف "لقد قامت إيران تماماً بكل ما هدف إليه الجميع عند وضعهم العقوبات".

ولم يتضح حتى الآن الهدف النهائي لإدارة ترامب حول سياسة العقوبات الخاصة بإيران لا سيما إذا انسحب الرئيس الأمريكي من الاتفاق النووي في أيار/مايو. فمن الناحية النظرية يمكن أن يسعى إلى إعادة فرض جميع العقوبات الاقتصادية المعطلة التي تم إلغاؤها رسمياً عام 2016 والتي شملت عقوبات على البنك المركزي الإيراني وفرض حظر على الصادرات النفطية للجمهورية الإسلامية. وتستطيع وزارة الخزانة الأمريكية أيضاً استئناف حملة التشهير التي استخدمتها بفعالية لمنع الاستثمارات في إيران. واقترح مسؤولون كبار في إدارة ترامب إمكانية السير في هذا الاتجاه أيضاً. وفي هذا الصدد قالت وكيلة وزارة الخزانة والمسؤولة في إدارة ترامب عن العقوبات المفروضة على إيران سيغال ماندلبر للكونغرس في كانون الثاني/يناير "لقد أوضحنا في مشاركاتنا سواء هنا في الولايات المتحدة أم في الخارج أن الشركات التي تمارس أعمالاً تجارية في إيران ستواجه مخاطر كبيرة".

العملة الإيرانية في هبوط حاد

على الرغم من الاتفاق النووي ورفع العقوبات الدولية لا يزال الاقتصاد الإيراني ضعيفاً للغاية في رأي المسؤولين الأمريكيين والمحللين الإيرانيين. ففي 28 آذار/مارس انخفض سعر صرف الريال الإيراني إلى أدنى مستوياته على الإطلاق ليصل إلى 52 ألفاً مقابل الدولار الأمريكي وانخفض بنسبة 37 في المائة خلال العام الماضي. ووفقاً لهؤلاء المسؤولين والمحللين يندرج حديث ترامب القاسي عن إيران ضمن الأسباب المؤدية لذلك. ولكن الأهم من ذلك هو حالة النظام المصرفي في البلاد إذ يقول بعض المحللين إن ما يصل إلى عشرين مؤسسة مالية كبرى في إيران قد أعلنت إفلاسها في الأشهر الأخيرة. كما أن عمليات إغلاق شركات الاستثمار الخاص التي تفتقر إلى تأمين المودعين ساهمت في إطلاق شرارة الاحتجاجات الوطنية التي اجتاحت البلاد في كانون الأول/ديسمبر الماضي.

وفي ظل جميع الاتجاهات التراجعية توقع "صندوق النقد الدولي" في تقريره من مارس/آذار أن الاقتصاد الإيراني قد ينمو بنسبة 4 في المائة في السنة المالية المنتهية في 20 آذار/مارس 2019. ويمكن أن يساعد انخفاض الريال في جعل الصادرات الإيرانية أكثر قدرةً على المنافسة. ومع ذلك خلص "صندوق النقد الدولي" إلى أن ديون الحكومة الإيرانية تضخمت إلى حوالي 50 في المائة من الناتج الاقتصادي للبلاد وأن أكبر ثلاثة صناديق تقاعد في البلاد أصبحت تفتقر إلى السيولة. وذكر التقرير أن "المدراء أشاروا إلى المخاطر الجمة التي يشكلها ضعف القطاع المصرفي والاختناقات الهيكلية والمخاطر المتزايدة لعدم اليقين."

الخاتمة

تواجه إيران في عام 2018 مجموعةً من التهديدات السياسية والاقتصادية والبيئية التي ربما لم يسبق لها مثيل منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية قبل نحو أربعين عاماً. فقد استمرت الاضطرابات التي بدأت في العام الماضي على مستويات متفاوتة وشملت احتجاجات من قبل النساء اللواتي يسعين إلى مزيد من المساواة بين الجنسين والنقابات العمالية التي أزعجها الركود في الأجور والتضخم. كما أدى نقص المياه والزلازل التي ضربت إيران إلى إرهاق قدرات حكومة الرئيس حسن روحاني. فضلاً عن ذلك تنفق طهران مليارات [الدولارات] في عملياتها العسكرية في الخارج ولا سيما في سوريا حيث تقاتل منذ سبع سنوات لدعم نظام الرئيس بشار الأسد.

وتلوح في أفق طهران مسألة الخلافة السياسية أيضاً إذ يبلغ المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي الثامنة والسبعين من عمره وقد خضع لعلاج السرطان في السنوات الأخيرة. وهناك دلائل متزايدة على أن القادة العسكريين والسياسيين بدأوا يتنافسون على السلطة تحسباً لعدم استمراره [في الحكم]. ومن بين السيناريوهات المحتملة يمكن لوحدة النخبة العسكرية الإيرانية أي «الحرس الثوري الإسلامي» أن تسعى إلى إقامة حكم عسكري. وفي هذا الإطار كتب الخبير في الشؤون الإيرانية علي رضا نادر في شباط/فبراير: "تشير انتفاضة عام 2017 وتقسيمات النخبة الداخلية وعدم قدرة خامنئي على الحفاظ على نظام سياسي مستقر إلى أن زوال النظام إذا حدث يجب ألا يكون مفاجئاً".

ومع ذلك ليس من الواضح ما إذا كان جون بولتون ومايك بومبيو سيلتزمان بمواقفهما المتشددة ويسعيان إلى استغلال هذه الانقسامات في إيران عند توليهما منصبهما. ويمكنهما القيام بذلك إما عن طريق تصعيد الحرب المالية على إيران أو السعي لتحدي طهران على جبهات أخرى. ومن جانبه لم يضع الرئيس ترامب بعد رؤيةً متسقة حول السياسة تجاه إيران. ففي سوريا عملت القوات

الأمريكية كحصن منيع ضد المقاتلين الإيرانيين والشيعة الذين يعملون على ترسيخ سيطرة نظام الأسد على السلطة. لكن في الشهر الماضي أعلن ترامب عزمه على إعادة القوات الأمريكية وإخراجها من سوريا. وقال في اجتماع سياسي حاشد يوم 30 آذار/مارس "سنخرج من سوريا قريباً جداً. فلندع الآخرين يتولون أمرها الآن".

جاي سولومون زميل زائر مميز في "زمالة سيغال" في معهد واشنطن ومؤلف "حروب إيران: ألعاب التجسس معارك المصارف والاتفاقات السرية التي أعادت تشكيل الشرق الأوسط". ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Bennett’s Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)

BRIEF ANALYSIS

Libya’s Renewed Legitimacy Crisis

/ /

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

الطاقة والاقتصاد **(ar/policy-analysis/altaqt-walaqtsad/)** السياسة الأمريكية **(ar/policy-analysis/alsyast-alamrykyt/)**

المناطق والبلدان

إيران **(ar/policy-analysis/ayran/)**